وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ * قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّٰلِمِينَ ، وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ، وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ *

## سـورة هود

مكية إلا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤ فمدنية وآياتها ١٢٣ نزلت بعد سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ،

---

ومعموله وهما كذلك ، ونجي المؤمنين (وأن أقم وجهك) الوجه هنا بمعنى القصد والدين (وما أنا عليكم بوكيل) منسوخ بالقتال ، وكذلك قوله واصبر حتى يحكم الله وعد بالنصر والظهور على الكفار

## سـورة هود عليه السلام

(الر) (كتاب) يعني القرآن ، وهو خبر ابتداء مضمر (أحكمت) أي أتقنت فهو من الإحكام للشيء (ثم فصلت) قيل معناه بينت وقيل قطعت سورة سورة ، وثم هنا ليست للترتيب في الزمان ، وإنما هي لترتيب الأحوال : كقولك فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل (ألا تعبدوا إلا الله) أن مفسرة وقيل مصدرية في موضع مفعول من أجله ، أو بدل من الآيات أو يكون كلاما مستأنفا منقطعا عما قبله على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويدل على ذلك قوله إنني لكم منه نذير وبشير (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) أي استغفروه مما تقدم من الشرك والمعاصي ، ثم ارجعوا إليه بالطاعة والاستقامة عليها (يمتعكم متاعا حسنا) أي ينفعكم في الدنيا بالأرزاق ، والنعم ، والخيرات ، وقيل هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه ، لأن الكافر قد يتمتع في الدنيا بالأرزاق (إلى أجل مسمى) يعني إلى الموت (ويؤت كل ذي فضل فضله) أي يعطى في الآخرة كل ذي عمل جزاء عمله ، والضمير يحتمل أن يعود على الله تعالى أو على ذي فضل (وإن تولوا) خطاب

أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا

---

للناس وهو فعل مستقبل حذفت منه إحدى التاءين ( عذاب يوم كبير ) يعنى يوم القيامة أوغيره كيوم بدر (ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ) قيل كان الكفار إذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يردون إليه ظهورهم لئلا يرونه من شدة البغض والعداوة ، والضمير فى منه على هذا يعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل إن ذلك عبارة عما تنطوى عليه صدورهم من البغض والغل ، وقيل هو عبارة عن إعراضهم لأن من أعرض عن شىء انثنى عنه وانحرف والضمير فى منه على هذا يعود على الله تعالى أى يريدون أن يستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله ولا المؤمنون على ما فى قلوبهم ( ألا حين يستغشون ثيابهم ) أى يجعلونها أغشية وأغطية كراهية لاستماع القرآن ، والعامل فى حين يعلم مايسرون ، وقيل المعنى يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم ، فيوقف عليه على هذا ، ويكون يعلم استئنافا ( وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ) وعد وضمان صادق ، فإن قيل : كيف قال على الله بلفظ الوجوب ، وإنما هو تفضل ، لأن الله لايجب عليه شىء ؟ فالجواب : أنه ذكره كذلك تأكيدا فى الضمان ، لأنه لما وعد به صار واقعا لامحالة لأنه لايخلف الميعاد ( ويعلم مستقرها ومستودعها ) المستودع صلب الأب والمستقر بطن المرأة وقيل المستقر المكان فى الدنيا والمستودع القبر ( وكان عرشه على الماء ) دليل على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض ( ليبلوكم ) أى ليختبركم اختبارا تقوم به الحجة عليكم ، لأنه كان عالما بأعمالكم قبل خلقكم ويتعلق ليبلوكم بخلق ( سحر مبين ) يحتمل أن يشيروا إلى القرآن ، أو إلى القول بالبعث يعنون أنه باطل كبطلان السحر ( ولئن أخرنا عنهم العذاب ) يحتمل أن يريد عذاب الدنيا أو الآخرة (إلى أمة معدودة ) أى إلى وقت محدود (ليقولن مايحبسه ) أى أى شىء يمنع هذا العذاب الموعود به ، وقولهم ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف ( ولئن أذقنا ) الآية : ذم لمن يقنط عند الشدائد ، ولمن يفتخر ويتكبر عند النعم ، والرحمة هنا والنعماء يراد بهما الخيرات الدنيوية ، والإنسان عام يراد به الجنس والاستثناء على هذا متصل ، وقيل المراد بالإنسان الكافر فالاستثناء منقطع ( فلعلك تارك بعض مايوحى إليك )

أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۞ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن

---

الآية : كان الكفار يقترحون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتى بكنز أو يأتى معه ملك ، وكانوا يستهزؤن بالقرآن فقال الله تعالى له : فلعلك تارك أن تلقى إليهم بعض ما أنزل إليك و يثقل عليك تبليغهم من أجل استهزائهم ، أو لعلك يضيق صدرك من أجل أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، والمقصود بالآية تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عن قولهم حتى يبلغ الرسالة ، ولا يبالى بهم ، وإنما قال ضائق ، ولم يقل ضيق ليدل على اتساع صدره عليه السلام وقلة ضيقه ( إنما أنت نذير) أى ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ والله هو الوكيل الذى يقضى بما شاء من إيمانهم أو كفرهم (أم يقولون افتراه) أم هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة والضمير فى افتراه لما يوحى إليه (قل فأتوا بعشر سور مثله) تحداهم أولا بعشر سور فلما بان عجزهم تحداهم بسورة واحدة فقال فأتوا بسورة من مثله ، والمماثلة المطلوبة فى فصاحته وعلومه (مفتريات) صفة لعشر سور ، وذلك مقابلة لقولهم افتراه ، وليست المماثلة فى الافتراء (وادعوا من استطعتم) أى استعينوا بمن شئتم ( فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) فيها وجهان : أحدهما أن تكون مخاطبة من الله للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين : أى إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن فاعلموا أنه من عند الله ، وهذا على معنى دوموا على علمكم بذلك أو زيدوا يقينا به ، والثانى أن يكون خطابا من النبى صلى الله عليه وآله وسلم للكفار أى إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شىء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليه ؛ فاعلموا أنه من عند الله ، وهذا أقوى من الأول لقوله : فهل أنتم مسلمون ، ومعنى بعلم الله : بإذنه ، أو بما لا يعلمه إلا الله من الغيوب وقوله فهل أنتم مسلمون لفظه استفهام ، ومعناه استدعاء إلى الإسلام وإلزام للكفار أن يسلموا لما قام الدليل على صحة الإسلام لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) الآية : نزلت فى الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة إذ هم لا يصدقون بها ، وقيل نزلت فى أهل الرياء من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا حسبما ورد فى الحديث فى القارئ والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك إنهم أول من تسعر بهم النار ، والأول أرجح لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن فإنما قصد بهذه الآية أولئك ( نوف إليهم أعمالهم فيها ) نوف إليهم أجور أعمالهم بما يغبطهم فيها من الصحة والرزق ، والضمير فى فيها يعود على الدنيا والمجرور متعلق بقوله نوف أو بأعمالهم ( وحبط ما صنعوا فيها ) الضمير فى فيها هنا يعود على الآخرة إن تعلق المجرور بحبط ويعود على الدنيا إن تعلق بصنعوا ( أفمن كان على بينة من ربه ) الآية معادلة لما تقدم ، والمعنى أفمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه ، والمراد بمن كان على بينة من ربه : النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون لقوله بعد ذلك : أولئك يؤمنون به ، ومعنى البينة البرهان العقلى والأمر

رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ
الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ
رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ *
أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ
مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا
يَفْتَرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ
مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا

---

الجلى ( ويتلوه شاهد منه ) الضمير فى يتلوه للبرهان وهو البينة ولمن كان على بينة من ربه ، والضمير فى منه للرب تعالى ، ويتلوه هنا بمعنى يتبعه والشاهد يريد به القرآن فالمعنى يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو القرآن ، فيزيد وضوحه وتعظم دلالته ، وقيل إن الشاهد المذكور هنا هو علىّ بن أبى طالب ( ومن قبله كتاب موسى ) أى ومن قبل ذلك الكتاب الشاهد كتاب موسى ، وهو أيضاً دليل آخر متقدم ، وقد قيل أقوال كثيرة فى معنى هذه الآية وأرجحها ماذكرنا (ومن الأحزاب) أى من أهل مكة ( ويقول الأشهاد) جمع شاهد كأصحاب ، ويحتمل أن يكون من الشهادة فيراد به الملائكة والأنبياء أو من الشهود بمعنى الحضور ، فيراد به كل من حضر الموقف ( ويبغونها عوجا ) أى يطلبون اعوجاجها أو يصفونها بالاعوجاج ( لم يكونوا معجزين ) أى لا يفلتون ( يضاعف لهم العذاب ) إخبار عن تشديد عذابهم وليس بصفة لأولياء ( ما كانوا يستطيعون السمع ) الآية : ما نافية والضمير للكفار ، والمعنى وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون كقوله : ختم الله على قلوبهم الآية ، وقيل غير ذلك ، وهو بعيد ( لا جرم) أى لا بد ولا شك (أخبتوا) أى خشعوا وقيل أنابوا (مثل الفريقين) يعنى المؤمنين والكافرين (كالأعمى والأصم والبصير والسميع) شبه الكفار بالأعمى والأصم ، وشبه المؤمنين بالبصير والسميع فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثالين ، وتمثيل للكافرين بمثالين ، وقيل التقدير كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع ، فالواو لعطف الصفات فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثال واحد وهو من جمع بين السمع والبصر ، وتمثيل للكفار بمثال واحد وهو من جمع بين العمى والصمم (عذاب يوم أليم) وصف اليوم بالأليم على وجه المجاز لوقوع الألم فيه (أراذلنا) جمع أرذل وهم سفلة الناس ، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم جهلا منهم واعتقاد أن الشرف هو بالمال

بادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ۝ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ۝ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ۝ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن

---

والجاه ، وليس الأمر كما اعتقدوا ، بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم وخمولهم فى الدنيا ، وقيل إنهم كانوا حاكة وحجامين ، واختار ابن عطية أنهم أرادوا أنهم أراذل فى أفعالهم لقول نوح : وما علمى بما كانوا يعملون (بادى الرأى) أى أول الرأى من غير نظر ولا تدبير ، وبادى منصوب على الظرفية . أصله وقت حدوث أول رأيهم ، والعامل فيه اتبعوك على أصح الأقوال ، والمعنى اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت ، وقيل هو صفة لبشرا مثلنا : أى غير مثبت فى الرأى (وما نرى لكم علينا من فضل) أى من مزية وشرف ، والخطاب لنوح عليه السلام ومن معه (على بينة من ربى) أى على برهان وأمر جلى ، وكذلك فى قصة صالح وشعيب (وآتانى رحمة من عنده) يعنى النبوة (فعميت عليكم) أى خفيت عليكم ، والفاعل على هذا البينة أو الرحمة (أنلزمكموها) أى أنكرهكم على قبولها قهرا وهذا هو جواب أرأيتم : ومعنى الآية أن نوحا عليه السلام قال لقومه أرأيتم إن هدانى الله وأضلكم أأجبركم على الهدى وأنتم له كارهون (لا أسألكم عليه مالا) الضمير فى عليه عائد على التبليغ (وما أنا بطارد الذين آمنوا) يقتضى أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء (إنهم ملاقوا ربهم) المعنى أنه يجازيهم على إيمانهم (من ينصرنى من الله إن طردتهم) أى من يدفع عنى عقاب الله إن ظلمتهم بالطرد (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) الآية : أى لا أدعى ماليس لى فتنكرون قولى (تزدرى) أى تحتقر من قولك زريت الرجل إذا قصرت به ، والمراد بالذين تزدرى أعينهم ضعفاء المؤمنين (إنى إذا لمن الظالمين) أى إن قلت للمؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا ، والخير هنا يحتمل أن يريد به خير الدنيا والآخرة (جادلتنا) الجدال هو المخاصمة والمراجعة فى الحجة (فأتنا بما تعدنا) أى بالعذاب (ولا ينفعكم نصحى) الآية : جزاء قوله إن أردت أن أنصح لكم ، هو مادل عليه قوله نصحى وجزاء قوله إن كان الله يريد أن يغويكم : هو مادل عليه قوله لا ينفعكم نصحى ، فتقديرها : إن أراد الله أن يغويكم لن ينفعكم نصحى إن نصحت لكم ، ثم استأنف قوله هو ربكم ، ولا يجوز أن يكون ربكم هو جواب الشرط (أم يقولون افتراه) الآية : الضمير فى يقولون لكفار قريش ، وفى افتراه لمحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، هذا قول جميع المفسرين ، واختار

قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ . وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ

---

ابن عطية أن تكون فى شأن نوح عليه السلام ، فيكون الضمير فى يقولون لقوم نوح ، وفى افتراه لنوح ، فلا يعترض مابين قصة نوح بغيرها وهو بعيد (إجرامى) أى ذنبى (فلا تبتئس) أى فلا تحزن (واصنع الفلك بأعيننا) أى تحت نظرنا وحفظنا (ووحينا) أى وتعليمنا لك كيف تصنع الفلك (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) أى لاتشفع لى فيهم ، فإنى قد قضيت عليهم بالغرق (كلما) يحتمل أن يكون جوابها سخروا منه ، أو قال إن تسخروا ( فسوف تعلمون ) تهديد ومن يأتيه منصوب بتعلمون ( عذاب يخزيه ) هو الغرق والعذاب المقيم عذاب النار ( حتى إذا جاء أمرنا ) غاية لقوله ويصنع الفلك ( وفار التنور ) أى فار بالماء وجعل الله تلك العلامة لنوح ليركب حينئذ فى السفينة ، والمراد بالتنور الذى يوقد فيه عند ابن عباس وغيره ، وروى أنه كان تنور آدم خلص إلى نوح ، وقيل التنور وجه الأرض ( قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ) المراد بالزوجين الذكر والأنثى من الحيوان ، وقرئ من كل بغير تنوين فعمل احمل فى اثنين ومن قرأ بالتنوين عمل احمل فى زوجين وجعل اثنين نعت له على جهة التأكيد ( وأهلك ) أى قرابتك ، وهو معطوف على ماعمل فيه احمل ( إلا من سبق عليه القول ) أى من قضى عليه بالعذاب فهو مستثنى من أهله ، والمراد بذلك ابنه الكافر وامرأته ( ومن آمن ) معطوف على أهلك ، أى احمل أهلك ومن آمن من غيرهم ( وما آمن معه إلا قليل ) قيل كانوا ثمانين وقيل عشرة وقيل ثمانية ( وقال اركبوا فيها) الضمير فى قال لنوح ، والخطاب لمن كان معه ، والضمير فى فيها للسفينة ، وروى أنهم ركبوا فيها أول يوم من رجب ، واستقرت على الجودى يوم عاشوراء ( بسم الله مجراها ومرساها ) اشتقاق مجراها من الجرى ، واشتقاق مرساها من الإرساء ، وهو الثبوت . أومن وقوف السفينة ، ويمكن أن يكونا ظرفين الزمان أو المكان ، أو مصدرين ، ويحتمل الإعراب من وجهين : أحدهما أن يكون اسم الله فى موضع الحال من الضمير فى اركبوا ، والتقدير اركبوا متبركين باسم الله أو قائلين بسم الله ، فيكون مجراها ومرساها على هذا ظرفين للزمان بمعنى وقت إجرائها وإرسائها أو ظرفين للمكان ، ويكون العامل فيه مافى قوله بسم الله من معنى الفعل فى موضع خبر ويكون قوله بسم الله متصلا مع ماقبله ، والجملة كلام واحد ، والوجه الثانى : أن يكون كلامين فيوقف على اركبوا فيها ويكون بسم الله فى موضع خبر ، ومجراها ومرساها مبتدأ بمعنى المصدر أى إجراؤها وإرساؤها ويكون بسم الله على هذا مستأنفا غير متصل بما قبله ولكنه من كلام نوح حسبما روى أن نوحا كان إذا أراد أن يجرى بالسفينة قال بسم الله فتجرى ، وإذا أراد وقوفها قال بسم الله فتقف (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) روى أن الماء طبق مابين السماء والأرض فصار الكل

كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ

---

كالبحر قال ابن عطية وهذا ضعيف ، وأين كان الموج كالجبال على هذا ، وصوبه الزمخشري ، وقال كانت تجري في موج كالجبال قبل التطبيق ، وقبل أن يغمر الماء الجبال (ونادى نوح ابنه) كان اسمه كنعان ، وقيل يام وكان له ثلاث بنون سوادوهم سام وحام ويافث ، ومنهم تناسل الخلق (في معزل) أي في ناحية (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) يحتمل أربعة أوجه : أحدها أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم كذلك بمعنى الراحم فالمعنى لا عاصم إلا الراحم وهو الله تعالى ، والثاني أن يكون عاصم بمعنى ذي عصمة أي معصوم ومن رحم : بمعنى مفعول أي من رحم الله . فالمعنى لا معصوم إلا من رحمه الله ، والاستثناء على هذين الوجهين متصل ، والثالث أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم بمعنى المفعول ، والمعنى لا عاصم من أمر الله لكن من رحمه الله فهو المعصوم ، والرابع عكسه والاستثناء على هذين منقطع (ابلعي ماءك) عبارة عن جفوف الأرض من الماء (أقلعي) أي أمسكي عن المطر وروي أنها أمطرت من كل موضع منها (وغيض الماء) أي نقص (وقضي الأمر) أي تم وكمل (واستوت على الجودي) أي استقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل (وقيل بعداً) أي هلاكا ، وانتصب على المصدر (ونادى نوح ربه) يحتمل أن يكون هذا النداء قبل الغرق فيكون العطف من غير ترتيب ، أو يكون بعده (قال رب إن ابني من أهلي) أي وقد وعدتني أن تنجي أهلي (قال يا نوح إنه ليس من أهلك) أي ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم ، لأنه كافر ، وقال الزمخشري : لم يكن ابنه ولكنه خانته أمه ، وكان لغير رشده وهذا ضعيف ، لأن الأنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله من أن تزني نساؤهم ولقوله ونادى نوح ابنه (إنه عمل غير صالح) فيه ثلاث تأويلات على قراءة الجمهور : أحدها أن يكون الضمير في إنه لسؤال نوح نجاة ابنه ، والثاني أن يكون الضمير لابن نوح وحذف المضاف من الكلام تقديره إنه ذو عمل غير صالح ، والثالث أن يكون الضمير لابن نوح ، وعمل : مصدر وصف به مبالغة كقولك رجل صوم ، وقرأ الكسائي «عمل» بفعل ماض «غير صالح» بالنصب ، والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال (فلا تسألن ما ليس لك به علم) أي لا تطلب مني أمراً لا تعلم أصواب هو أم غير صواب ، حتى تقف على كنهه ، فإن قيل : لم سمى نداءه سؤالا ، ولا سؤال فيه ؟ فالجواب أنه تضمن السؤال وإن لم يصرح به (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) أن في موضع مفعول من أجله تقديره أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين ، وليس في ذلك وصف له بالجهل ، بل فيه

أَلِيمٌ * تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ * يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى الَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَيَـٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ۝ قَالُوا يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوٓا أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ * إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ۝ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا

---

ملاطفة وإكرام (اهبط بسلام منا) أى اهبط من السفينة بسلامة (وعلى أمم ممن معك) أى ممن معك فى السفينة واختار الزمخشرى أن يكون المعنى من ذرية من معك ، ويعنى به المؤمنين إلى يوم القيامة ، فمن على هذا لابتداء الغاية ، والتقدير على أمم ناشئة ممن معك ، وعلى الأول تكون من لبيان الجنس (وأمم سنمتعهم) يعنى نمتعهم متاع الدنيا وهم الكفار إلى يوم القيامة ( تلك من أنباء الغيب ) إشارة إلى القصة ، وفى الآية دليل على أن القرآن من عند الله لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يعلم ذلك قبل الوحى (إن أنتم إلا مفترون) يعنى فى عبادتهم لغير الله (يرسل السماء عليكم مدرارا) السماء هنا المطر ومدرارا بناء تكثير من الدر يقال در المطر واللبن وغيره ، وفى الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سبب لنزول الأمطار ، وروى أن عادا كان حبس عنهم المطر ثلاث سنين ، فأمرهم بالتوبة والاستغفار ووعدهم على ذلك بالمطر ، والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الكفر ، ثم عن الذنوب ، لأن التوبة من الذنوب لا تصح إلا بعد الإيمان (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة) أى بمعجزة ، وذلك كذب منهم وجحود أو يكون معناه بآية تضطرنا إلى الإيمان بك ، وإن كان قد أتاهم بآية نظرية (عن قولك) أى بسبب قولك ( إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ) معناه مانقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون لما سببتها ونهيتنا عن عبادتها (فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون) هذا أمر بمعنى التعجيز أى لا تقدرون أنتم ولا آلهتكم على شىء ، ثم ذكر سبب قوته فى نفسه وعدم مبالاته بهم ، فقال إنى توكلت على الله الآية ( مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها ) أى هى فى قبضته وتحت قهره ، والأخذ بالناصية تمثيل لذلك ، وهذه الجملة تعليل لقوة توكله على الله وعدم مبالاته بالخلق (إن ربى على صراط مستقيم) يريد أن أفعال الله جميلة وقوله صدق ووعده حق ، فالاستقامة تامة ( فإن تولوا فقد أبلغتكم ) أصل تولوا هنا تتولوا لأنه فعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة ، فإن قيل : كيف وقع الإبلاغ جوابا للشرط ، وقد كان الإبلاغ قبل التولى ؟ فالجواب : أن المعنى إن تتولوا فلا عتب علىّ لأنى قد أبلغتكم رسالة ربى ( ولا تضرونه شيئا ) أى لا تنقصونه شيئا : أى إذا أهلككم واستخلف غيركم ( ولما جاء أمرنا ) إن قيل

هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۝ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۝ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ * فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۝ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ۝ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن

---

لم قال هنا وفى قصة شعيب ولما بالواو وقال فى قصة صالح ولوط لما بالفاء ؟ فالجواب على ماقال الزمخشرى أنه وقع ذلك فى قصة صالح ولوط بعد الوعيد فجىء بالفاء التى تقتضى التسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد بخلاف قصة هود وشعيب ، فإنه لم يتقدم ذلك فيهما فعطف بالواو ( ونجيناهم من عذاب غليظ ) يحتمل أن يريد به عذاب الآخرة ، ولذلك عطفه على النجاة الأولى التى أراد بها النجاة من الريح ، ويحتمل أن يريد بالثانى أيضا الريح ، وكرره إعلاما بأنه عذاب غليظ ، وتعديدا للنعمة فى نجاتهم ( وعصوا رسله ) فى جميع الرسل هنا وجهان : أحدهما أن من عصى رسولا واحدا لزمه عصيان جميعهم فإنهم متفقون على الإيمان بالله وعلى توحيده ، والثانى أن يراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرسا واحدا ( ألا إن عادا كفروا ربهم ) هذا تشنيع لكفرهم وتهويل بحرف التنبيه وبتكرار اسم عاد ( ألا بعدا ) أى هلاكا وهذا دعاء عليهم وانتصابه بفعل مضمر ، فإن قيل : كيف دعا عليهم بالهلاك بعد أن هلكوا ؟ فالجواب أن المراد أنهم أهل لذلك ( لعاد قوم هود ) بيان لأن عادا اثنان : إحداهما قوم هود ، والأخرى إرم ( هو أنشأكم من الأرض ) لأن آدم خلق من تراب ( واستعمركم فيها ) أى جعلكم تعمرونها ، فهو من العمران للأرض ، وقيل هو من العمر نحو استبقاكم من البقاء ( قد كنت فينا مرجوا ) أى كنا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ماقلت ، وقيل المعنى كنا نرجو أن تدخل فى ديننا ( فى داركم ) أى بلدكم ( ثلاثة أيام ) قيل إنها الخميس والجمعة والسبت ، لأنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء ، وأخذهم العذاب يوم الأحد ( ومن خزى يومئذ ) معطوف على نجينا أى نجيناهم من خزى يومئذ ( جاثمين ) ذكر فى الأعراف ( كأن لم يغنوا فيها ) أى كأن لم يقيموا فيها الضمير للدار ، وكذلك فى قصة شعيب ( ولقد جاءت رسلنا ) الرسل هنا الملائكة ( إبراهيم بالبشرى )

جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝ فَلَمَّا رَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝
وَٱمْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۝ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا
بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوٓا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝
فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۝ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا
لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝

بشروه بالولد (قالوا سلاما) نصب على المصدر والعامل فيه فعل مضمر تقديره سلمنا عليكم سلاما (قال سلام) تقديره عليكم سلام وسلام عليكم، وهذا على أن يكون بمعنى التحية، وإنما رفع جوابه ليدل على إثبات السلام، فيكون قد حياهم بأحسن مما حيوه، ويحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة، ونصب الأول لأنه بمعنى الطلب، ورفع الثانى لأنه فى معنى الخبر (فما لبث أن جاء) أى ما لبث مجيئه بل عجل وما نافية وأن جاء فاعل لبث (بعجل حنيذ) أى مشوى، وفعيل هنا بمعنى مفعول (نكرهم) أى أنكرهم ولم يعرفهم، يقال نكر وأنكر بمعنى واحد (وأوجس منهم خيفة) قيل إنه لم يعرفهم فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه، وقيل عرف أنهم ملائكة ولكن خاف أن يكونوا أرسلوا بما يخاف فأمنوه بقولهم لا تخف (وامرأته قائمة) قيل قائمة خلف الستر، وقيل قائمة فى الصلاة، وقيل قائمة تخدم القوم، واسمها سارة (فضحكت) قيل معناه حاضت وهو ضعيف، وقال الجمهور هو الضحك المعروف واختلفوا من أى شىء ضحكت، فقيل سرورا بالولد الذى بشرت به ففى الكلام على هذا تقديم وتأخير وقيل سرورا بالأمن بعد الخوف، وقيل سرورا بهلاك قوم لوط (فبشرناها بإسحاق) أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى، لأنها كانت بأمره (ومن وراء إسحاق يعقوب) أى من بعده وهو ولده، وقيل الوراء ولد الولد ويعقوب بالرفع مبتدأ، وبالفتح معطوف على إسحاق (قالت يا ويلتا) الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم، وكذلك فى يا لهفى ويا أسفى ويا عجبا، ومعناه التعجب من الولادة، وروى أنها كانت حينئذ بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة (رحمة الله وبركاته عليكم) يحتمل الدعاء والخبر (أهل البيت) أى أهل بيت إبراهيم، وهو منصوب بفعل مضمر على الاختصاص أو منادى (حميد) أى محمود (مجيد) من المجد وهو العلو والشرف (أيجادلنا) هو جواب لما على أن يكون المضارع فى موضع الماضى أو على تقدير ظل أو أخذ يجادلنا ويكون يجادلنا مستأنفا والجواب محذوف، ومعنى جداله كلامه مع الملائكة فى رفع العذاب عن قوم لوط، وقد ذكر فى اللغات (حليم) وفى براءة أواه (يا إبراهيم أعرض عن هذا) أى قلنا يا إبراهيم أعرض عن هذا يعنى عن المجادلة فيهم فقد نفذ القضاء بعذابهم (ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) الرسل هم الملائكة ومعنى سىء بهم أصابه سوء وضجر لما ظن أنه من بنى آدم وخاف عليهم من قومه (يوم عصيب) أى شديد (وجاءه قومه يهرعون إليه) أى يسرعون وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم بنزول الأضياف عنده. فأسرعوا ليعملوا بهم عملهم الخبيث (من قبل كانوا يعملون السيئات) أى كانت عادتهم إتيان الفواحش فى الرجال (قال يا قوم هؤلاء بناتى) المعنى فتزوجوهن،

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ * وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ

وإنما قال ذلك لبق أضيافه ببناته ، وقيل اسم بناته الواحدة رثيا ، والأخرى غوثا وأن اسم امرأته الهلكة والهة . واسم امرأة نوح والقة (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) أى مالنا فيهن أرب (وإنك لتعلم مانريد) يعنون نكاح الذكور (قال لو أن لى بكم قوة) جواب لو محذوف تقديره : لو كانت لى قدرة على دفعكم لفعلت . ويحتمل أن تكون لو للتمنى (أو آوى إلى ركن شديد) معنى آوى ألجأ ، والمراد بالركن الشديد ما يلجأ إليه من عشيرة وأنصار يحمونه من قومه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يرحم الله أخى لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد : يعنى إلى الله والملائكة (قالوا يالوط إنا رسل ربك) الضمير فى قالوا للملائكة ، والضمير فى لن يصلوا لقوم لوط ، وذلك أن الله طمس على أعينهم حينئذ (فأسر بأهلك) أى اخرج بهم بالليل ، فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدائن ، وقرئ فاسر بوصل الألف وقطعها ، وهما لغتان يقال سرى وأسرى (بقطع من الليل) أى قطعة منه (ولا يلتفت منكم أحد) نهوا عن الالتفات لئلا تتفطر أكبادهم على قريتهم ، وقيل يلتفت معناه يلتوى (إلا امرأتك) قرئ بالنصب والرفع ، فالنصب استثناء من قوله فأسر بأهلك ، فيقتضى هذا أنه لم يخرجها مع أهله ، والرفع بدل من ولا يلتفت منكم أحد ، وروى على هذا أنه أخرجها معه ، وأنها التفتت وقالت ياقوماه فأصابها حجر فقتلها (إن موعدهم الصبح) أى وقت عذابهم الصبح (أليس الصبح بقريب) ذكر أنهم لما قالوا إن موعدهم الصبح قال لهم لوط هلا عذبوا الآن ، فقالوا له أليس الصبح بقريب (جعلنا عاليها سافلها) الضمير المدائن روى أن جبريل أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط واقتلعها فرفعها حتى سمع أهل السماء صراخ الديكة ونباح الكلاب ، ثم أرسلها مقلوبة (وأمطرنا عليها حجارة) أى على المدائن ، والمراد أهلها روى أنه من كان منهم خارج المدائن أصابته حجارة من السماء ، وأما من كان فى المدائن فهلك لما قلبت (من سجيل) قيل معناه من ماء وطين ، وإنما كان من الآجر المطبوخ وقيل من سجله إذا أرسله ، وقيل هو لفظ أعجمى (منضود) أى مضموم بعضه فوق بعض (مسومة عند ربك) معناه معلمة بعلامة ، روى أنه كان فيها بياض وحمرة ، وقيل كان فى كل حجر اسم صاحبه (وما هى من الظالمين ببعيد) الضمير للحجارة والمراد بالظالمين كفار قريش ، فهذا تهديد لهم أى ليس الرمى بالحجارة ببعيد منهم لأجل كفرهم ، وقيل الضمير للمدائن ، فالمعنى ليست ببعيدة منهم أفلا يعتبرون بها كقوله «ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء» وقيل إن الظالمين على العموم (إنى أراكم بخير) يعنى رخص الأسعار وكثرة الأرزاق (عذاب

مُفْسِدِينَ ۝ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ * قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ۝ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟

---

يوم محيط ) يوم القيامة أو يوم عذابهم فى الدنيا (بقيت الله خير لكم ) أى ما أبقاه الله لكم من رزقه ونعمته (أصلاتك تأمرك) الصلاة هى المعروفة ونسب الأمر إليها مجاز كقوله «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» والمعنى أصلاتك تأمرك أن نترك عبادة الأوثان ، وإنما قال الكفار هذا على وجه الاستهزاء (أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء) يعنون ما كانوا عليه من بخس المكيال والميزان ، وأن نفعل عطف على أن نترك (إنك لأنت الحليم الرشيد) قيل إنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء ، وقيل معناه الحليم الرشيد عند نفسك (ورزقنى منه رزقا حسنا) أى سالما من الفساد الذى أدخلتم أنتم فى أموالكم ، وجواب أرأيتم محذوف يدل عليه المعنى وتقديره : أرأيتم إن كنت على بينة من ربى أيصلح لى ترك تبليغ رسالته (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) يقال خالفنى فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه ، وخالفنى عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح) أى لا يكسبنكم عداوتى أن يصيبكم مثل عذاب الأمم المتقدمة ، وشقاقى فاعل ، وأن يصيبكم مفعول (وما قوم لوط منكم ببعيد) يعنى فى الزمان لأنهم كانوا أقرب الأمم الهالكين إليهم ، ويحتمل أن يراد ببعيد فى البلاد (ما نفقه) أى ما نفهم (وإنا لنراك فينا ضعيفا) أى ضعيف الانتصار والقدرة ، وقيل نحيل البدن ، وقيل أعمى (ولولا رهطك لرجمناك) الرهط القرابة والرجم بالحجارة أو بالسب (أرهطى أعز عليكم من الله) هذا توبيخ لهم فإن قيل إنما وقع كلامهم فيه وفى رهطه وأنهم هم الأعزة دونه فكيف طابق جوابه كلامهم ؟ فالجواب أن تهاونهم به وهو رسول الله تهاون بالله فلذلك قال أرهطى أعز عليكم من الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) الضمير فى اتخذتموه لله تعالى أو لدينه وأمره ، والظهرى ما يطرح وراء الظهر ولا يعبأ به ، وهو منسوب إلى الظهر بتغيير النسب (اعملوا على مكانتكم) تهديد ومعنى مكانتكم تمكنكم فى الدنيا وعزتكم فيها (من يأتيه عذاب يخزيه ) عذاب الدنيا والآخرة (وارتقبوا) تهديد (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أى

الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ۝ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ۝ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ * فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ

---

بالمعجزات (وسلطان مبين) أى برهان بين (يقدم قومه) أى يتقدم قدامهم فى النار كما كانوا فى الدنيا يتبعونه على الضلال والكفر (فأوردهم النار) الورود هنا بمعنى الدخول ، وذكره بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (ويوم القيامة) عطف على فى هذه فإن المراد به فى الدنيا (بئس الرفد المرفود) أى العطية المعطاة (قائم وحصيد) باق وداثر (فما أغنت عنهم آلهتهم) حجة على التوحيد ونفى الشريك (تتبيب) أى تخسير (يوم مجموع له الناس) أى يجمعون فيه للحساب والثواب والعقاب ، وإنما عبر باسم المفعول دون الفعل ليدل على ثبوت الجمع لذلك اليوم ، لأن لفظ مجموع أبلغ من لفظ يجمع (يوم مشهود) أى يحضره الأولون والآخرون (يوم يأت) العامل فى الظرف لا تكلم أو فعل مضمر ؛ وفاعل يأت ضمير يعود على يوم مشهود وقال الزمخشرى يعود على الله تعالى كقوله «أو يأتى ربك» ويعضده عود الضمير عليه فى قوله بإذنه (فمنهم شقى وسعيد) الضمير يعود على أهل الموقف الذين دل عليهم قوله لا تكلم نفس (زفير وشهيق) الزفير إخراج النفس ، والشهيق رده . وقيل الزفير صوت المحزون ، والشهيق صوت الباكى ، وقيل الزفير من الحلق ، والشهيق من الصدر (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) فيه وجهان أحدهما أن يراد به سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة أبدا ، والآخر أن يكون عبارة عن التأبيد كقول العرب ما لاح كوكب وما ناح الحمام وشبه ذلك مما يقصد به الدوام (إلا ما شاء ربك) فى هذا الاستثناء ثلاثة أقوال : قيل إنه على طريق التأدب مع الله كقولك إن شاء الله ، وإن كان الأمر واجبا ، وقيل المراد به زمان خروج المذنبين من النار ، ويكون الذين شقوا على هذا يعم الكفار والمذنبين ، وقيل استثنى مدة كونهم فى الدنيا وفى البرزخ ، وأما الاستثناء فى أهل الجنة فيصح فيه القول الأول والثالث دون الثانى (غير مجذوذ) أى غير مقطوع (فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء) المرية الشك والإشارة إلى عبدة

مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۝ وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ۝ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ * وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ

---

الأصنام أى لا تشك فى فساد دين هؤلاء (مايعبدون إلا كما يعبد آباؤهم) أى هم متبعون لآبائهم تقليدا من غير برهان (وإنا لموفوهم نصيبهم) يعنى من العذاب (كلمة سبقت) يعنى القدر وذلك أن الله قضى أن يفصل بينهم يوم القيامة فلا يفصل فى الدنيا (وإن كلا) قرئ بتشديد إن وبتخفيفها ، وإعمالها عمل الثقيلة ، والتنوين فى كل عوضا من المضاف إليه يعنى كلهم ، واللام فى لما موطئة للقسم ، وما زائدة ، وليوفينهم خبر إن ، وقرئ لما بالتشديد على أن تكون إن نافية ، ولما بمعنى إلا (ليوفينهم ربك أعمالهم) أى جزاء أعمالهم ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) يعنى الكفار ، وقيل إنهم الظلمة من الولاة وغيرهم (ثم لا تنصرون) مستأنف غير معطوف ، وإنما قال ثم لبعد النصرة (وأقم الصلاة) الآية : يراد بها الصلوات المفروضة ، فالطرف الأول الصبح والطرف الثانى الظهر والعصر ، والزلف من الليل المغرب والعشاء (إن الحسنات يذهبن السيئات) لفظه عام ، وخصصه أهل التأويل بأن الحسنات الصلوات الخمس ، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل ، روى أن رجلا قبل امرأة ثم ندم فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وصلى معه الصلاة ؛ فنزلت الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أين السائل ، فقال ها أنذا ؛ فقال قد غفر لك . فقال الرجل ألى خاصة أو للمسلمين عامة ، فقال بل للمسلمين عامة ، والآية على هذا مدنية ، وقيل إن الآية كانت قبل ذلك ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم للرجل مستدلا بها ، فالآية على هذا مكية كسائر السورة ، وإنما تذهب الحسنات عند الجمهور الصغائر إذا اجتنبت الكبائر (ذلك) إشارة إلى الصلوات ، أو إلى كل ما تقدم من وعظ ووعد ووعيد (فلولا) تحضيض بمعنى هلا (أولوا بقية) أى أولو خير ودين بقى لهم دون غيرهم (إلا قليلا ممن أنجينا منهم) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون ينهون عن الفساد فى الأرض ، وقيل هو متصل فإن الكلام الذى قبله فى حكم النفى كأنه قال : ما كان فيهم من ينهى عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ، على أن الوجه فى مثل هذا البدل ويجوز فيه النصب (الذين ظلموا) يعنى الذين لم ينهوا عن الفساد (بظلم) هذا المجرور فى موضع الحال من ربك والمعنى أنه لا يهلك أهل القرى ظالما لهم ، تعالى الله عن ذلك (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعنى مؤمنة لا اختلاف

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝

## سـورة يوسف

مكية إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فمدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ

---

بينهم فى الإيمان (ولايزالون مختلفين) يعنى فى الأديان والملل والمذاهب (ولذلك خلقهم) قيل الإشارة إلى الاختلاف، وقيل إلى الرحمة وقيل إليهما (وكلا نقص) انتصب كلا بنقص ومابدل من كلا (وجاءك فى هذه الحق) الإشارة إلى السورة (اعملوا، وانتظروا) تهديدهم وإقامة حجة عليهم

## سـورة يوسف عليه السلام

(الكتاب المبين) يعنى القرآن، والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين، فيكون غير متعد، أو يكون متعديا بمعنى أنه أبان الحق أى أظهره (لعلكم) يتعلق بأنزلناه أو بعربيا (أحسن القصص) يعنى قصة يوسف، أو قصص الأنبياء على الإطلاق، والقصص يكون مصدرا أو اسم مفعول بمعنى المقصوص، فإن أريد به هنا المصدر فمفعول نقص محذوف، لأن ذكر القرآن يدل عليه (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) الضمير فى قبله للقصص أى من الغافلين عن معرفته، وفى هذا احتجاج على أنه من عند الله لكونه جاء به من غير تعليم (إذ قال) العامل فيه اذكر المضمر، أو القصص (ياأبت) أى ياأبى والتاء للمبالغة، وقيل للتأنيث وكسرت دلالة على ياء المتكلم والتاء عوض من ياء المتكلم (رأيتهم لى ساجدين) كرر الفعل لطول الكلام وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء فى ضمير الجماعة لما وصفها بفعل من يعقل، وهو السجود وتأويل الكواكب فى المنام إخوته، والشمس والقمر أبواه؛ وسجودهم له تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو ملك (لاتقصص رؤياك على إخوتك) إنما قال ذلك لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته فخاف عليه من الحسد (يجتبيك) يختارك (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قيل هى عبارة الرؤيا، واللفظ أعم من ذلك (آل يعقوب)